مستويات الوعيّ
(الوعيّ القائم أو الفعليّ، والوعيّ ممكن)
في سيرة عليٍّ الزَّيبق

Levels of Consciousness
Biography of Ali Al-Zaybaq:
A Study in the Light of Structuralism

بان حسين عوفي

Ban Hussein Aufi

أ.م.د محمود كاظم موات

Asst. Prof. Dr. Mahmoud Kazem Mowat

الملخص

سعت البنيويَّة الأم بشكلٍ عام إلى إبعاد النصّ الأدبي عن جميع ترابطاته الخارجيّة والنظر إلى النصّ الأدبي وفقاً لتركيبه الداخلي وتحليله من دون البحث عن علّة وجود النصّ الأدبي، حتَّى جاء المنهج الغولدماني الّذي تجاوز مغاليق الأعمال الّتي ارتبطت بها البنيويَّة، فقد نظرت البنيويَّة التَّكوينيَّة إلى السّياق العام للنصّ فأهتمت بثقافة المجتمع وواقعية النصّ والسّياق الاجتماعي الّذي أحاط به، فالأعمال الأدبيّة لدى (لوسيان غولدمان) هي تعبيرٌ عن رؤى العالم، وتعبيرٌ عن مستويات وعيّ الأفراد داخل المجموعة الواحدة، لمعرفة آراء وهموم الأفراد أو الطبقة الاجتماعيّة.

الكلمات المفتاحية: (مستويات الوعيّ، لوسيان غولدمان، عليٍّ الزَّيبق).

الكلمات المفتاحية: مستويات الوعي، لوسين كولدمان، علي الزيبق

Abstract

Structuralism in general sought to distance the literary text from all its external associations and look at the literary text according to its internal structure and analysis without searching for the reason for the existence of the literary text and the reason that prompted the creator to produce the text. Structuralism was associated with it. Formative structuralism looked at the general context of the text through the cultural, social and historical context, bypassing its linguistic associations. It was concerned with the culture of society, the realism of the text and the social context that surrounded it. The literary works of (Lucian Goldman) are an expression of world visions and levels of consciousness to know the opinions and concerns of individuals or social class.

Keywords: Levels of Consciousness, Lucien Goldman, Ali Al-Zaybak

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين كما يستحق الحمدُ والثناءُ الجميلُ، والصلاة والسلام على سيد المُرسلين وخاتم الأنبياء مُحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وصحبه الميامين.

أمّا بعد:

فواحدة من الأُسس المهمة الّتي تقوم عليها (البُنيويَّة التَّكوينيَّة) بوصفها منهجاً نّقدياً يعمل على ربط النصّ الأدبيّ بالبيئة التي نشأ فيها، فهو جزءٌ منها أولاً، وصادر عن وعي أفراده ثانياً، وبناءً على ذلك تكون هنالك علاقة بين المبدع والوعي الجماعي للأفراد، فالنصّ مرتبطٌ بالبنية الذهنية التي يُعبِّر عنها الكاتب، وهذا ما يساعد البُنيويَّة التَّكوينيَّة على تحليل النصّ وتأويله وتحديد دلالته، فالنظر إلى النصّ، يُلزم الوقوف على السَّياق الخارجيّ، لمعرفة مكنوناته الدلاليَّة وهذا ما نادى به لوسيان غولدمان.

فالتَّوازن بين الواقع وفكر الجماعة ضروري للنهوض بالوعيّ الممكن لها، فجاء هذا البحث وقد وسمته بـ(مستويات الوعيّ الوعيّ القائم أو الفعليّ، والوعيّ ممكن) في سيرة عليٍّ الزَّيبق، إذ انتظم في ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول تحت عنوان: الأساس المنهجي وقد ورد الحديث فيه عن مشكلة وأهمية وأهداف هذا البحث، إضافة للمنهج المتبع في دراسة وتتبع عناوينه الرئيسة، وكذلك جاء الحديث فيه عن سيرة عليٍّ الزَّيبق وأهم عناصرها السردية من شخصيات وزمان ومكان السيرة، وكذلك الأحداث، وجاء المبحث باسم (البنيويَّة التَّكوينيَّة و مستويات الوعيّ) على اعتبار الأخيرة واحدة من أهم المقولات المركزية في البنيويَّة التَّكوينيَّة. والمبحث الثالث والأخير جاء لتطبيق مستويات الوعيّ في سيرة عليٍّ الزَّيبق.

هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه الأخيار المنتجبين.

«المبحث الأول»

الأساس المنهجي

مشكلة البحث:

تَباينت المُمارسات النقَّدية الحديثة فِي تناولِها للنصِّ الأدبيّ، وَقد تَعاملت معه تارةً مِن الناحية اللّغوية؛ على أنّه كَيانٌ لغويٌ مُنعزلٌ عَن أيّ مُؤثّرٍ خَارجي؛ إذ اهتّمت بالنصِّ وانعزاله عَن سياقاتِه الخارجيَّة، تنتَهي بالنصِّ وتَبدأ معه، كالبنيويَّة الّتي تَقوم على دراسةِ الأدب عَبر النظر إلى النصِّ بانعزاله عن سياقه العام، بِوصفه بناءً متكاملاً بعيداً عن أيَّة عوامل أخرى، ويُصبح موضوعُها فَكَّ المَفاهيم الرَّئيسة وشفرات النصّ، وتارةً تَتمُّ دراسته وِفق مَنظور سياقي ولا يَعزله عَن المحيط الخارجيّ الّذي نَشأ فيه.

ومِن ثّم استفاد النقّاد مِن هذه المَناهج الحَديثة الّتي اهتمت بالسّياق الخارجي مثل (البنيويَّة التَّكوينيَّة) إذ جَمعت بين دراسة البُنى الدَاخليّة للنصِّ مع البُنى الخارجيّة للنصِّ، جامعةً بذلك بين المنهج البنيوي والمنهج الاجتماعيّ؛ فنظرَت إلى النصِّ الأدبيّ مِن ناحية علاقتِه مع الوسط الاجتماعيّ وركّزت على الآلية الّتي كَوّنت العمل الأدبيّ.

فالرابط الّذي قامت عليه، يهدف إلى التَّماثل الحاصل بين وعيّ أفراد المَجْموعة الاجتماعيَّة وبين النصّوص الأدبيَّة؛ فهذه المَنهجية النَّقْدية الجديدة تسعى لدراسة الأدب أو العمل الأدبيّ ضِمْن صيْرورته الاجتماعيَّة وسنقف على مستويات هذا الوعيّ عبر عنوان بحثنا (مستويات الوعيّ الوعيّ القائم أو الفعليّ، والوعيّ ممكن في سيرة عليٍّ الزَّيبق)، وقد جاءت مشكلة البحث تتمحور بالتساؤل الّذي نطرحه: ما مدى استيعاب نصّ سيرة عليّ الزَّيبق لمستويات الوعيّ بنوعيه (الفعليّ والممكن)، وهل تماثل وعيّ البطل مع وعيّ الطبقة الاجتماعية؟ والإجابة عن ذلك ماتجلى في إجراءات البحث.

أهمية البحث:

أهمية البحث تكمن في إضافة هذه الدراسة إلى المكتبة النَّقديَّة عبر معالجتها لموضوع لمستويات الوعيّ (الوعيّ القائم أو الفعليّ، والوعيّ ممكن) في سيرة عليٍّ، كما تكمن أهميته في قلّة الدراسات الّتي تناولت (سيرة عليّ الزَّيبق) ممّا جعلتها أرضية خصبة لتطبيق البنيويَّة التَّكوينيَّة.

أهداف البحث:

لا يخلو هذا البحث من أهداف، ومنها:

١) دِراسة المَنهج البنيوي التَّكويني.
٢) الخروج بمحصّلة عن مستويات الوعيّ في سيرة عليّ الزَّيبق ومعرفة مدى التَّماثل بين البنية الذهنية للأفراد وبين النصّ الأدبيّ.

المنهج المتبع:

المنهج المتبع في هذا البحث، المنهج الوصفي -التحليلي، هذا التزاوج المنهجي يقوم على دراسة المنهج البنيوي التَّكويني ووصفه وتحليله، والوقوف على طبيعة مستويات الوعيّ الّتي تحكم هذا المنهج.

التعريف بالسَّيرة الشَّعبيَّة:

تُعدُّ السَّيرة الشَّعبيَّة واحدةً مِن الأشكال الأدبيّة التّعبيرية الّتي تندرج ضمن أشكال الأدب الشّعبيّ، إذ أُطلِق هذا المُصطلح (السَّيرة الشَّعبيَّة) مُنذ حوالي النصف الأول مِن القرن العِشرين على النصّوص الّتي تأخذ الطابع القصَصيّ الطويل وهي تُشبه الرواية، الّتي تمَّ تدوينها في العَصر المَملوكيّ بعد أنْ تمّت مُناقلتها لأجيالٍ شِفاهية، ورسمت أبطالًا في عُصورٍ غير العُصور الّتي عاشوها. وَيُرجع بعض الباحثين هذا مِن أجل استرجاع الماضي المَجيد، وعدم ضَياع مَلامح السَّيرة بشكلٍ كبيرٍ، أو ربّما الحروب

الصّليبية الّتي عاشوها العرب وكان بحاجةٍ إلى شحذ الهِمم والعزائم وردّ الظالمين وإيقافهم، وبالتالي إيقاف انحسار الدور العربيّ في تلك الفترة[1].

ونلحظ في الغالب الأعمّ أنَّ بطل السّيرة يكون شخصية تاريخيَّة تناولت اخبارَها كتب السَّيرة والأدب وَحتى التاريخ مثل عنترة بن شدادٍ وغيره، فالسَّيرة الشَّعبيَّة لا تنحصر بتصوير حياة البطل فقط وإنَّما تمثّل في تَصويرها المُدن والقُرى وكذلك التقاليد والعادات مِن أجل تصوير العَصر الّذي عاش به البطل ومَا فيه مِن مَواقفٍ مختلفةٍ، فالأدب الشعبيّ يُعدُّ نافذةً تستطيع فئةٌ مِن المُجتمع أو الطبقة الاجتماعيَّة التعبير عِن مونولوجِها الداخلي[*] دون قيدٍ أو شرطٍ، فقد استطاعت السَّيرة الشَّعبيَّة وغيرها مِن الفنون السّردية أنْ تحتوي هذه الخَلجات النفسية لِما لها مِن نَفَسٍ طويلٍ مِن ناحية السّرد والأحداث والاشخاص والأماكن، وقد عرَّفها (فاروق خورشيد): (فنٌ مُستقلٌ بذاتِه له قواعدُه وأصوله وله بناؤه الفنيّ وله أهدافه الفنية والاجتماعية والسياسية الّتي استقلَّ بها)[2].

عن طريق هذا التعريف نجد أنَّ (فاروق خورشيد) يجعل مِن السَّيرة الشَّعبيَّة فنًا مُستقلاً له أهدافه وأصوله وَمبادئُها تُحاول الرّميّ إليه، فالسَّيرة الشَّعبيَّة مِن ناحية الشكل الفنيّ هي قصةٌ تُسيطر عليّها المَبادئ السّردية للقصّة تقوم بسرد حياة البطل فيكون هو حامل لاسم السَّيرة بالإضافة إلى اشخاصٍ آخرين تقوم بتناولهم حسب قربهم مِن البطل.

(١) يُنظر: موسوعة السرد العربي: عبد الله إبراهيم: ص٢٤٧-٢٤٨.

(*) المونولوج الداخلي: (هي تلك التكنيك المستخدم في القصص بهدف تقديم المحتوى النفسي للشَّخصية والعلميات النفسيَّة لديها -دون التكلم بذلك على نحوٍ مقصود كلّي أو جزئي- وذلك في اللحظة الّتي توجد فيها هذه العمليات في المستويات المختلفة للإنضباط الواعي، قبل أنْ تتشكّل للتعبير عنها بالكلام على نحوٍ مقصود). تيار الوعي في الرواية الحديثة: روبرت همفري:ص ٥٩.

(٢) أدب السيرة الشعبية: فاروق خورشيد: ص٤٤.

ويرى (عبد الله إبراهيم) السَّيرة بأنَّها: (مجموعةٌ مِن الأعمال الروائية ذات سماتٍ فنيةٍ مُتشابهةٍ وذات أهدافٍ فنيةٍ مُتماثلةٍ)[1]. فهذه السَّيرة الشَّعبيَّة تكون مُستمدةً مَواضيعها وشخصياتها والعُقدة الدرامية مِن حكايةٍ شعبيةٍ أو فُلكلورٍ يُروى وَيتسامر به في مَجالس التَسلية عند الناس. فظهرَتْ لنا شخصياتٌ في السَّيرة الشَّعبيَّة مثل شَّخصية البطل المُحتال والفارس الشجاع وغيرها مِن الشخصيات الأخرى الّتي تمَّ تَناقلها في السّير الشَّعبيّة.

١) التعريف بسيرة عليّ الزَّيبق:

تُعدُّ (واحدة من أشهر السَّير الشَّعبيَّة الّتي سجّلت في لحظةٍ تاريخيَّة فارقة، اتحاد الوجدان الشَّعبي في مواجهة الاستبداد والفساد وظلم الحكام، بسلاح السُخريّة والهجاء والتواري خلف الرمز ومجازية الخيال)[2]، فبطل السَّيرة يظهر بصورةٍ انتقامية من السُّلطة بفعل جورها وظلمها واستبدادها، يحاكي الأساليب الّتي تستخدمها من خداع ورشوة وفساد على حساب العامة، في محاولةٍ منه لإسترداد حقوق الناس وأخذ حقه من قتلة أبيه، مشيراً إلى أنَّ الوسيلة الوحيدة لأخذ الحقوق تكون عِبر مواجهة السُّلطة بالخداع والمكر.

(١) موسوعة السرد العربي: ص٢٢١-٢٢٢.

(2) https: / /al-ain.com /article /91066

أ) عناصر سيرة عليّ الزَّيبق:

❖ الشَّخصيات:

١) شخصية عليّ الزَّيبق:

واحدةٌ مِن الشَّخصيات الرئيسة الّتي حَظيت بشهرةٍ واسعةٍ في الأدب الشَّعبي تَدور الأحداث حولَه، ونُسِب إليه لقب (الزيبق)؛ لأنَّه كان سريع النفاذ في الحركة وكذلك من المشاكل، ويَمتاز بقدرته على استعمال التّنكر والخداع والمَكر في انتقامه مِن السُّلطة، عانتْ هذه الشَّخصية مِن الطريق الشَّاق في مَسيرتِها مُنْذ نشأته، وحتَّى تولّيه الحكم.

٢) شخصية فاطمة:

مِن الشَّخصيات الرَّئيسة في النصّ، وهي رمزٌ للحنان والعاطفة الّذي يلجأ إليه البطل في كلّ انكساراته، والمنقذ عِند الشَّدائد، فهي (أم عليّ الزَّيبق) الّتي رافقتُه في السَّيرة، تولَّت تربيتَه وحاولت إبعادَه عَن حياة الشّطارة والعياقة، تفاديًا لَمصيره الّذي رُبّما يكون مُشابهًا لمصير أبيه (حسن راس الغول)، فشخصية فاطمة مُحبة ذات معرفة، وشجاعةٌ ذات قوة، تُضاهي قوة الشّطار والعيارين، كانت ناقمةً على السُّلطة وما بها من فساد، كانت توّد التَغيير في المجتمع لكنْ يَمنعُها المصير الّذي تعَّرض له زوجها (حسن رأس الغول) مخافة أنْ يتكرر في ابنِها ولهذا لجأتْ لمكانٍ بَعيدٍ بعد ولادتِه وَتربّى في كنف جده (القاضي نور الدين)، لكنْ فشلتْ في إبعادِه عَن هذه الحياة.

٣) حسن رأس الغول: والد عليّ الزَّيبق مقدّم الدّرك الّذي قُتِل على يد المقدم صلاح الكلبي ودليلة، بعد شَهِد صراعاً مع ثنائي الشر السابق، كان حسن رأس الغول يترأس منصب المقدّمية ويمتاز بالمهارة في القتال والخداع والمكر في مواجهته مع صلاح الكلبي، ودليلة المحتالة، إلّا أنَّه وقع ضحية خداع

استخدامها الكلبي فدسَّ له السُمّ عبرَ جارية فمات ومن هنا بدأت رحلة الانتقام لعليّ الزَّيبق من السُّلطة.

٤) شخصية سالم: وهي من الشَّخصيات الساندة، الّتي رافقت البطل منذ بداية رحلته في السَّيرة وحتَّى النهاية، فهو الشَّخصية الساندة للبطل والحامية لهُ، الّتي يَجدها البطل في كلّ موقفٍ قَد يعرّض مَصيره إلى الخطر والانتهاء.

٥) دليلة المُحتالة: مِن الشّخصيات الّتي اقترن اسمُها بالمَكر والخِداع والاحتيال، استعان (صلاح الكلبي) بها للإطاحة (بعليّ الزَّيبق)، تُمثّل العقل المدّبر للانتقام مِن (عليّ الزّيبق) وإيصاله لحبل المَشنقة، تَمتاز هذه الشَّخصية بالهدوء الّذي يرافقُه المكر والذّكاء.

٦) صلاح الكلبّي: على الرّغم من ارتباط الدّلالة المُعجميّة لاسم صلاح بما يدلّ على التحلّي بالصفات الحميدة، إلّا أنَّ الشَّخصية لم تكنْ بهذه الصفات أبدًا، إذ كان (صلاح الكلبّي) واحدًا مِن الشّطّار والعَيارين الّذينَ تولّوا مركز السُلطان في مَدينة (قرة ميدان والرميلة)، وهو ما كان يطمح إليه منذ زمنٍ بعيدٍ فقد قَتَل كلَّ مِن واجهه في الرّئاسة وأراد أن يُتوّج على عرش السُّلطة لوحده، فقتل (حسن راس الغول)، وحاول أيضاً قتل بطل السَّيرة (عليّ الزَّيبق) عدة مراتٍ إلّا أنَّه فشل. تُعدُّ هذه الشَّخصية أيقونة التسلّط والظُلم والجَور، فهذه الشَّخصية قد نشرت الخوف والرُعب في نفوس الأفراد.

وقد وردت أسماء شخصياتٍ في القصة مثل (حسن رأس الغول)، (أحمد بن البُنى) الفارس الشّجاع الّذي قُتِل على يَد فاطمة، فكان مِن أشجع الفرسان ولم يستطعْ هزيمته أحدٌ سِوى فاطمة، وأسماء شخصيات ضمن حوارات النصّ، مثل (الحمامي، حسن المناشفي، شميعة اليهودي، الخال منصور، عثمان، وغيرهم) فتندرج ضمن الشَّخصيات العَرضية، فاستحضار هذه الشَّخصيات في النصّ مِن أجل تفسير المَواقف أو شرح مَوقف مُعين وكلّ هذا يتضح عبر حوار الشَّخصيات.

❖ الزمان والمكان:

يُعدُّ المكان من العناصر السرديَّة المهمة الّتي تَتشكّل في بناء العمل السرديّ، فهنالك علاقة تَربط المكان بالشَّخصية وتتأثر به، فيحمل بذلك معانٍ ودلالات معينة وعميقة، وقد تناولت سيرة (عليّ الزَّيبق) مجموعة من الأماكن تدور ضمن الرقعة الجغرافية لدمشق والقاهرة، فقد تناولت أحداث لحياة شعب عانى من فساد السُّلطة وطيشها، وتنطوي السّيرة على أماكن محدودة وواقعيُّة يتنقل فيها البطل مع الشَّخصيات، وتكثر في هذه السّيرة الأماكن الشَّعبيَّة أكثر من العلمية والثقافية ومنها:

١) خان الخليلي: وهو واحد من الأحياء الشَّعبيَّة الّتي تقع في القاهرة، سكنه الزَّيبق مع أمه وجده في بداية حياتهِ قبل إرساله إلى الأزهر لتلقي العلوم.
٢) الأزهر: واحد من أهم المساجد في القاهرة الّتي يُدرسُ فيها العلوم الإسلامية وعلوم الّلغة العربيَّة، قبلة لطلاب العلم، مكان نشط بحركة الطلاب انتقل إليه البطل نزولاً عند رغبة أمه في تعلّمه للعلوم والدين والابتعاد عن حياة الشَّطَّارة والعياقة.
٣) قرة ميدان والرميلة: واحدة من الأحياء الشّعبيَّة في القاهرة، مركزٌ للشَّطَّار والعيارين في ذلك العصر يتنافسون فيما بينهم في استعراض مواهبهم وفنونهم على المارة، تكيف الزَّيبق مع هذه المدينة وشعر بالانتماء لها وسرعان ما أضافت له العديد من الصفات وصقلت مواهبه.

إضافة إلى ذلك، برزت لنا العديد من الأماكن المغلقة في النصّ منها القصر الّذي مثل مركز تجمع السُّلطة والفساد، وكذلك البيت في البستان الّذي أتخذه الزّيبق مركزاً للتنكر والتخطيط والتدبير. أن كثرة الأماكن الشّعبيَّة في النص ولدت لدى البطل وعي خاص بها، إضافة إلى العمق الخاص في تكوينه عبر مخالطته لحياة مجتمع عانى من الحوكمة الظالمة والاستغلال السياسي أمّا الزمن فقد صوَّرت سيرة (عليّ الزَّيبق) واقعاً مأساوياً متأزماً بسبب الأوضاع الاجتماعيَّة والسياسيَّة الّتي فرضتها السلطة عليهم، ممّا

ولّد لديهم معاناة في هذا المجتمع مكتفيين بتسيير أمورهم العادية دون النهوض بتغييره، فقد انقسم الزمن في سّيرة (عليّ الزَّيبق) إلى قسمين الزمن الماضي و الحاضر و زمن المستقبل، فزمن الماضي والحاضر اقترن بالوعيّ الفعليّ المصاحب لأفراد المجتمع، أما زمن المستقبل هو ما يُمثَّل وعيّ البطل الممكن ورؤية استشراقيّة ومستنيرة لدى البطل في تخليص المجتمع من شرور الحكام.

❖ الأحداث:

تدور أحداث السّيرة غالباً حول مفهوم الشّخصيّة الرئيسة وهي شخصيّة (عليّ الزّيبق) والصراع القائم بين السُّلطة والطبقة العامة وبطلها الشّعبيّ الّذي تبنى قضاياهم وهموهم للانتقام من السُّلطة الحاكمة آنذاك، فقد استخدم مكره وحيلته من أجل استرداد الحقوق ليتحول بذلك إلى رمزٍ للأمة عبر تخليصهم من شرور الحكام من جهة وتحقيق أحلامهم من جهةٍ أخرى عبر وسيلة الحيلة والتنكر[1].

(١) يُنظر: سيرة عليّ الزَّيبق المخطوطة المصريَّة النادرة سنة ١٨٨٠: تقديم ودراسة محمد سيد عبد التواب، ص ٢٢.

«المبحث الثاني»
البنيويَّة التَّكوينيَّة

ظهرت البنيويَّة التَّكوينيَّة في منتصف القرنَ العشرين، ما بينَ (١٩٦٠-١٩٦٦) مستندة إلى أساسٍ فلسفي يمكنُ ارجاعه إلى مذهب (افلاطون)، و (ارسطو)، و(هيجل)، و (ماركس)، و (جورج لوكاتش)، الّذي تأثّر به (لوسيان غولدمان) واستمدّ منه مقولاتَه المركزية لمنهجه النّقدي، فعلى الرَّغم من النجاحاتِ الّتي حققتها البنيويَّة الأم في حقولِ الدّراسات إلّا أنَّها تعرضت للنقدِ والاعتراض؛ إذ أُخذ عليها أنَّها أهملت المُبدع والسّياق الخارجي للنصِّ والاهتمام بالعمل الأدبيّ من الداخل، فظهرَ اتجاهٌ نقديٌّ جمع ما بين التفسير الداخلي للعمل الأدبيّ، وما بينَ السّياق الخارجي للعمل الأدبيّ متمثل بالبنيويَّة التَّكوينيَّة، فيُعن (بالأدب بوصفه ظاهرة اجتماعية تاريخيَّة آخذ في الحسبانِ بُنياته الخاص الّتي يفسرها في إطار العلاقاتِ الموجودة بين العناصر المكونةِ له وبينَ العناصر الخارجية المتفاعلة معها)[١].

فقد فتحت البنيويَّة التَّكوينيَّة آفق تحليلها للنصِّ الأدبيّ متجاوزة الترابطات اللّغوية إلى السّياق الثقافي والعالم الخارجي للنصِّ، للكشف والوصول لرؤية العالم الّتي يبثها المُبدع في نصّه، حتَّى تمثّل رؤيته أو رؤية الطبقة الّتي يعبّر عنها[٢]. لأنَّ رؤى العالم هي رؤى جماعية تمثّل أساساً فكرياً لطبقة معينةٍ.

(١) علم الاجتماع الأدبيّ: منهج سوسيولوجي في القراءة والنّقد: أنور عبد الحميد الموسى: ص ١٩٢.
(٢) يُنظر: مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التَّكوينيَّة: عادل اسعيدي عبد القادر بحتي: ص٥٠٠.

ناهيك عن هذا، إنَّ البنيويَّة التَّكوينيَّة تقومُ على دراسة البُنيات بصورة كلّية متزامنة مع علاقتها الاجتماعيَّة والتاريخيَّة وغيرها، وهذا يدلّ على أنَّ البنيويَّة التَّكوينيَّة تسعى لدراسة العمل الأدبيّ ضمن سلوك الجماعةِ و ضمن حدثٍ اجتماعي وضمن صيرورته للوظيفةِ الّتي يُؤديها. فلجأ (لوسيان غولدمان) لـ(فهم النصّ الأدبيّ وتفسيره بشكلٍ مجدٍ وصحيح عبر العودة إلى سيرة صاحبه الذاتية...وأكّد ضرورة الاتجاه ليسَ من النصّ ولصاحبه فحسبْ وإنَّما من النصِّ إلى المجموعة الاجتماعيَّة الّذي يشكل صاحب النصّ جزءًا منها)[1]، لذلك فالفرضية الأساس الّتي تقومُ عليها البنيويَّة التَّكوينيَّة هي (أنَّ كلّ سلوك إنسان هو محاولةُ تقديم جواب دالّ على وضعية مطروحة ومحاولة عن طريق ذلك توازن بين الذاتِ الفاعلة والموضوع الّذي مورس عليه الفعل... وعلى وجه العموم إذا كانَت عملية إنشاء البُنيات وعمليه تفكيكها تُحقق توازنًا، فأنَّه ليس من اللازم أنْ يكونَ الجوابُ المقدّم دالاً في كلّ حالة فردية)[2]، وهذا يدلُّ على أنّ البنيويَّة التَّكوينيَّة تسعى لدراسة العمل الأدبيّ ضمن سلوك الجماعةِ و ضمن حدث اجتماعي وضمن صيرورته للوظيفة الّتي يؤديها.

١) مستويات الوعيّ:

قبل الخوض في أصناف الوعيّ الّتي صنفها (لوسيان غولدمان) في منهجه، لا بد من تفسير وفهم موضوع الوعيّ لديه، وبيان موقعه في منهجه البنيوي التَّكويني؛ إذ يرى (لوسيان غولدمان) أنَّ موضوع الوعيّ من المصطلحات الأساسيَّة الصعبة، وتكمن في تحديد المعنى الدقيق لمصطلح وعيّ، فاستعمال كلمة وعيّ لدى علماء النفس والاجتماع من دون تحديد دقيق لمعناه، أدّى إلى التباس المعنى[3]. وقد بيَّن (لوسيان غولدمان) للوعيّ معنى على نحو الإمكان (أنّه مظهر معين لكلّ سلوك بشري يستتبع

(١) علم الاجتماع الأدبيّ: منهج سوسيولوجي في القراءة والنّقد: ص٢١٨.
(٢) البنيويَّة التَّكوينيَّة والنّقد الأدبيّ: البنيويَّة التَّكوينيَّة ولوسيان غولدمان وآخرون، ص٤٤.
(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ص٣٣

تقسيم العمل)[1]، ولمّا كانت البنيويّة التّكوينيَّة تقوم في دراستها للنصّ الأدبيّ على أساس الذات الجماعيّة والسلوك الثقافي والعمل الوجداني لهذه الفئة، فأنَّ كلَّ واقعة تُمثَّل وعيّاً، وتنطوي هذه الواقعة على ذات عارفة وموضوع، وكلاهما ينطويان تحت مسمى الجماعة والوعيّ الجمعي، ليَكتسب الوعيُّ طابعاً انعكاسياً لها[2] وقد أشار (لوسيان غولدمان) منذ أنْ ظهر الإنسان ولديه لغة خاصة به، يتواصل بها مع أفراد مجتمعه، وتعبَّر عن همومه واهتماماته، وبداية صراعاته مع الظروف أو الطبيعة الّتي عاش في كنفها، وبدأ بتقسيم العمل، بينه وبين أفراد طبقته، و من هنا لابد من التمييز بين الذات الفردية والذات غير الفردية، الّتي يتجاوز فيها الفرد فرديته من أجل تحقيق مصالح طبقته والجماعة الّتي ينتمي إليها، إذ أنَّ الوعيّ لدى المجموعة لا يتحقق إلّا إذا تكلم الفرد بلسان مجموعته ومصالحها[3]. ومن هذا المنطلق حدد (لوسيان غولدمان) الوعيّ على أنَّه (وعيٌّ قائمٌ- وعيٌّ ممكنٌ).

أ) الوعيُّ القائم أو الفعليّ:

هو الوعيّ الّذي ينقل سلبيات الواقع وينحصر في مفهوم الآنية أو الحاضر من دون وعيّ كلّ هذه السلبيات، فالسبب الّذي يكون في نشوء هذا الوعيّ هو موروث الماضي بما يحتويه من سلبيات، بكلّ أصنافه الاجتماعيّة والاقتصاديّة وحتَّى السياسيّة مؤثرة في الواقع الّذي تعيشه الطبقة (ذلك الوعيّ الناتج بطبيعته عن الماضي كموروث بكلّ زخمه الحضاري، والثقافي، والتاريخي الّذي جاء إلى الحاضر الّذي يعيد فهمه وصياغته انطلاقاً من تلك المؤثرات والمعتقدات الراسخة في ذهن الجماعة الاجتماعيّة)[4].

(١) البنيويَّة التَّكوينيَّة والنَّقد الأدبيّ: لوسيان غولدمان وآخرون: ص ٣٣.

(٢) يُنظر: العلوم الإنسانية في الفلسفة: لوسيان غولدمان: ص ١٤٧.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ص١٤٧-١٤٨.

(٤) البنيويَّة التَّكوينيَّة من الأصول الفلسفيّة إلى الفصول المنهجية دراسة في نقد النقد: محمد الأمين: ص١٦٠.

فالوعيُّ القائم وعيٌّ سلبيٌّ ينحصر في واقع الجماعة (يكون عند أية فئة اجتماعيّة بالنسبة لمختلف المسائل الّتي تُطرح عليها، وبالنسبة للحقائق الّتي تصادفها، وعيّ واقعي،وعيّ حقيقي قائم يمكن شرح بنيته ومضمونه بعدد كبير من عوامل ذات طبيعة متنوعة، كلها ساهمت بدرجات مختلفة في تكوين ذلك الوعيّ)[1] أيّ؛ أنَّ الوعيَّ الفعليَّ بهذه المفهوم هو وعيٌّ لاصقٌ لمشاكل الطبقة الاجتماعيّة الّتي أراد الكاتبُ التعبير عن رؤياه من خلال طرح الوعيّ القائم لهذه الفئة. وقد أكد (لوسيان غولدمان) على أنَّ الوعيَّ الفعليَّ يقتضي وجوداً وموضوعاً للمعرفة[2]. (الناجم عن الماضي ومختلف حيثياته وظروفه وأحداثه وكل مجموعة اجتماعيَّة تسعى إلى فهم الواقع انطلاقاً من ظروفها المعيشيّة والاقتصاديَّة والفكريَّة والدينيَّة والتربوية)[3] يضرب (لوسيان غولدمان) مثالاً لوعيّ الفلاحيين بين سنة ١٨٤٨و١٨٥١وكيف تضافرت جهود عدة في بلورة الوعيّ لدى الجماعة، وكيف حدثت تغييرات لدى وعيهم فليس الوعيُّ القائم فحسب بل حتَّى الممكن بوصفه مرتبطاً بالأول. وهذا الوعيّ نفتقده في سيرة عليّ الزّيبق لأنَّ الوعيّ الجماعي لدى الطبقة الاجتماعيَّة هو وعيٌّ فعليٌّ- سلبي لم تتضافر فيه جهود المجموعة من أجل إحداث تغير في واقعهم، ولكنَّ وعيّ البطل أسهم في قلب الموازين وبث روح الأمل فيهم بعد معاناتهم من السُّلطة.

(١) البنيويَّة التَّكوينيَّة والنَّقد الأدبيّ: الوعيّ الممكن والوعيّ القائم: ص ٣٧.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص ٣٤.

(٣) في البنيويَّة التَّكوينيَّة: دراسة في منهج لوسيان غولدمان: جمال شحيد:ص٥٤-٥٥.

ب) الوعيُّ الممكن:

من المقولات الّتي اقتبسها (لوسيان غولدمان) من ماركس عن طريق عبارة ذكرها الأخير في كتابه العائلة المقدسة، مركزاً على ضرورة التمييز بين الوعيّ الفردي والوعيّ الطبقي[١] وقد جاء نتيجة سلبيات الحاضر ويمكن عَدّه حلاً لهذه السلبيات أو تطوراً عن الوعيّ السابق، فإذا كان الوعيُّ الفعليُّ هو المشاكل والسلبيات الّتي تعيشها الطبقة، فأنَّ الوعيّ الممكن هو المنقذ أو الأمل، الّذي تتطلع إليه الطبقة للتخلص من هذه المشاكل وينتج لنا رؤية العالم فأنَّه (يرتبط دوماً بالحلول الجذريّة الّتي تطرحها الطبقة الاجتماعيّة لتتجاوز مشكلاتها، وتحقق التوازن المنشود)[٢].

فالأول مرتبط بالحاضر وسلبياته ومشاكله والثاني بالمستقبل والحل، ولهذا أصبحت مستويات الوعيّ لدى (لوسيان غولدمان) هي تجسيد لرؤية العالم لدى طبقة يجسدها العمل الأدبيّ. وقد أشار إلى (أنَّ لرؤيات العالم وقائعًا اجتماعيةً...يتحدد محتواها بالوعيّ الممكن الأقصى للمجموعة، وبصفة عامة للطبقة الاجتماعية)[٣] فالوعيّ عنده تحليل لواقع معين متجاوزاً النظرة الفرديّة ولا يمكن تحقيقه من دون الجماعة وبعيداً عن أهداف الجماعة، وهذا الاندماج في مفهوم الجماعة يُسهم في تشَكيل رؤية العالم فـ(كلُّ عمل أدبي...يجسد ويبلور رؤية العالم لدى هذه الطبقة أو تلك، ويجعلها تنتقل من الوعيّ الفعليّ الّذي بلغته إلى الوعيّ الممكن)[٤].

(١) يُنظر: في البنيويَّة التَّكوينيَّة: دراسة في منهج لوسيان غولدمان: جمال شحيد: ص٥٤.

(٢) البنيويَّة التَّكوينيَّة من الأصول الفلسفيّة إلى الفصول المنهجية دراسة في نقد النقد: محمد الأمين: ص١٦٢.

(٣) العلوم الإنسانية في الفلسفة: لوسيان غولدمان:ص١٣٦.

(٤) في البنيويّة التَّكوينيَّة: دراسة في منهج لوسيان غولدمان:جمال شحيد: ص٥٦.

فقد تحقق الوعيّ الممكن لدى عليّ الزَّيبق عِبر الوسائل الثورية على السُّلطة، والّتي كانت بمثابة وسائل استشراقية للمستقبل الّذي يتطلّع له لأفراد الطبقة العامة، فانطلاقاً من الواقع المأساوي للمجتمع والوعيّ الفعلي للأفراد، تولّد للزَّيبق وعيّ ممكن يهدف لتغيير واقع الجماعة.

«المبحث الثالث»

مستويات الوعيّ
(الوعيّ القائم أو الفعليّ، والوعيّ ممكن)

انطلاقاً من مفهوم (لوسيان غولدمان) للوعيٍّ على أنّه كلُّ واقعة اجتماعيَّة هي وعيٌّ وتمثيل لطبقة أفراد معينين ضِمن واقع واحد، فأنَّ الوعيَّ ينبغي عليه المطابقة مع الواقع وتلاؤمه معه[1]. جاعلاً للوعيٍّ نوعين (الوعي القائم أو الفعليّ والوعيّ الممكن)، فالوعيّ الأول يتحقق مع التفكير البسيط للأفراد من دون مقومات أو حلول لهذه المشاكل، وعدم التأمل في كيفيَّة الخلاص منه، أمّا الوعيّ الثاني هو الوعيٌّ الّذي يوصل صاحبه إلى نافذةِ الأمل والحلِّ والانتقال به إلى كفّة المستقبل الّذي يناسب تفكيره الثقافي وتفكير المجموعة، مِن أجل تحقيق مصالحه الجماعيّة.

فأنَّ الوعيّ القائم أو الفعليّ هو المهيمن في نصِّ (سيرة عليٍّ الزَّيبق) وهو وعيٌّ مُتمثّل في الصراعات الّتي تحدث في المجتمع، وكذلك مشاكل المجموعة نتيجة لممارسات السُّلطة الّتي كانت تواجه الزيَّبق، رأي وحرية مختلفة عن أفراد الطبقة، وحتَّى الصراعات النفسيَّة إذ مثّلت الجسر الرابط والموصول بالوعيّ الفعليّ أو السلبي، وقد أدرك (عليّ الزَّيبق) هذا الواقع المأساوي الّذي تعيشه أفراد الطبقة، نتيجة السيطرة المتمثَّلة بالسُّلطة، وأدراكه أنَّ السُّلطة قد فرضت الخوف والرعب في نفوسهم فلم يجرأ أحدٌ على مواجهتهم، فأصبح الوعيّ والثقافة لدى الطبقة مرتبط بالطبقة هو وعيٌّ قائمٌ على استلاب حقوقهم، وصارت السُّلطة تستمد القوة من هذا الخوف، وقد تَمَثّلت بداية تَشكّل الوعيّ الفعليّ قوله: (فقال علي وهو يتوقف أمام باب الأزهر الكبير ويطل على صحنه الواسع الّذي يموج بحلقات الدرس..

(١) يُنظر: البنيويَّة التَّكوينيَّة والنَّقد الأدبيّ: لوسيان غولدمان: ص ٣٥.

-أليس هناك مكان يخلو من الفقر والجوع؟

-لا يختفي الفقر يا علي وهناك أغنياء يموتون من التخمة وفقراء يموتون من الجوع، فرزق الفقراء الّذين يعملون يأكله الاغنياء الّذين لا يعملون)[1] فقوة السُّلطة واستبدادها قد انتشر في جميع مناحي الحياة، ناشرة جناح الظلم والاستبداد والقهر الاجتماعي والظلم والشقاء الاجتماعي، وممارستها للأذى عليهم سواءً أكان معنوياً أم مادياً وعدم المواجهة مع السلطة، فأصبح الوعيّ الفعليّ محصَّلة مِن التجارب السيئة الّتي سَبق ظهورها الآني لماضٍ حافل بالمشاكل، فالحاضر يوحي بسيطرة السُّلطة وتَمكّنها من المجموعة وإلقاء الخوف والرعب في أفئدتهم، بدلاً من المواجهة والثورة ضدهم، لكن لا يدوم الحال على ما هو عليه عند مجيء البطل الّذي وعد نفسه بالقضاء على فساد السُّلطة ليتجاوز مشاكل الحاضر إلى حلول المستقبل، ليجسّد للمتلّقي البحث عن الحلول الأخرى للخروج من دوامة البؤس (ثم لمعت عيناه وهو يخبط الارض بقدمه ويقول:

-أخيراً عثرت على الوسيلة الّتي أشد بها ذنب الذئب، أعطني دبوسك ياسالم..

فقال سالم في لهفة وعلي ينفلت من جواره منطلقا:

-ماذا تريد أنَّ تفعل ياعلي؟ قال علي وهو يبتعد..

-سأعلن لصلاح الكلبي وجودي.. سأريه أنْ زمن بطشه قد ولى وزال)[2] فوجود البطل صار مقترناً بزوال البطش والفساد في السُّلطة، ورفضه لهذا الفساد والظلم، وكذلك يتجلى بالبحث عن إخلاص الجماعة من بطش السلطة، فقد استخدم الزّيبق سلاحاً شبيهاً بسلاح السُّلطة لأجل مخاطبة عقولهم كما يفعلون معه أفراد العامة، وهذا من صفات الشَّطار والعيارين أنَّهم استخدموا مخالفة القانون لتطبيقه، ويستمر ظهور

(١) سيرة عليِّ الزَّيبق: ص٣٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٠.

الوعيّ في النصِّ وتفاعله مع الواقع والشَّخصيات، فالوعيّ الّذي يحدد مشاكل الواقع وحقائقه، وهذا ما نجده (لقد اطلقت كلاب القنص وراءك يا علي، ولست أشك أنَّ الزعر جميعا الآن يملأون شوارع القاهرة واسواقها بحثاً عن العجل، ومن وجدوه معه عرفوا فيه ضالتهم.. فتهجم وجه علي وهو يقول:

-هل تجبن يا سالم؟ وعاد سالم يبتسم في هدوء، وهو يقول:

-أنا لست جبانا يا بني، ولكن هناك شيء اسمه الحذر، ولو سرت في الطرقات بهذا العجل أكون كمن يعرض رقبته إلى المشنقة... وكان علي غارقاً في أفكاره وهو يتصور ماذا ستفعل هذه الريالات كلها بالفقراء ممن يلوذون بباب ضريح السيدة..)[1] فالحاضر الّذي يواجهه الزَّيبق هو حاضر مُتعثّر مليء بالمخاطر الّتي من شأنها أنْ تودي بحياته، لكن هذا يهون أمام إعطاء السّلطة درس نتيجة سرقتها وممارساتها السيئة للطبقة العامة الّتي تعيش على هامش الحياة فالتفاعل الّذي يسببه فكر الزّيبق وتدبيره وحركاته هو ما يحيل بالنصِّ إلى حركة ذات فعالية ونشاط من دون البقاء في دائرة السكون والثبات، أنَّ الوعيَّ الّذي يعكس سلبيات الواقع ويوضح عدم استطاعة المجموعة الاجتماعيَّة في الدفاع عن نفسها وبطلها يتَّضح في هذا النصّ.

فالوعيُّ الجماعيُّ السائدُ في هذه اللحظة يعكس تفكير المجموعة وعدم القدرة في المواجهة تخوفاً منها، ولهذا شَهِدوا موت بطلهم من دون التحرك لما فيه من مخاطر إذ ما ثاروا وانتفضوا، فعدم القدرة على الارتقاء وتغيير الواقع بسبب ما تواجهه من السُّلطة القائمة، فالوعيّ المخبوء في عقول الطبقة والّذي أدّى إلى الامتناع عن مواجهة السُّلطة جاء نتيجة الواقع المأساوي الّذي أحاط بهم، وهو أمر قررته السُّلطة لجميع أفراد الطبقة العامة والكادحين منهم، ممَّا ولّد الخوف والخنوع والذّل والخشوع في نفوسهم وهذا ما يتجسّد فيه الوعيّ الفعلي في الواقع، وهو أمرٌ سابقٌ لظهور الزَّيبق واستمر حتّى بمجيئه ممَّا ولّد صراعاً قائماً طرفه البطل والسُّلطة.

(١) سيرة عليٍّ الزَّيبق: ص ٦٣-٦٤.

أمَّا الوعيّ الممكن، فعندما أدرك الزَّيبق الشقاء والقهر تمثَّل لديه الرؤية المستقبلية الاصلاحيَّة الّتي أخذ بها يتطلّع لتغيير هذا الواقع وتغيير الاستبداد والقهر الّذي تمارسه السُّلطة (أتعرف يا سالم أنني أحلم دائما بأنني أركب جوادا وأمسك رمحا وسيفا لأقتص من الظالمين وأنصف المظلومين، ولآخذ من الأغنياء المتبطلين لأعطي للفقراء الكادحين)[1] فقد عَبَّر عن الروح الّتي تُناقض هذا الواقع وهذا الانقياد، ورفضه لهذه المعاملة القاسية، فالوعيّ الممكن هو تجاوز سلبية الواقع الحالي، برؤية مستقبلية استَّشراقيَّة مرتبطة بالحلول الجذرية للمشكلات الّتي تعاني منها الطبقة الاجتماعيَّة، وهذا ما طَمح إليه (عليّ الزَّيبق)، فالتَّمرد وصور المواجهة مع السُّلطة والقيود الّتي فرضتها مثّلت الوعيّ الّذي تطلّع به إلى تغيير حال المجتمع، إذ مثّل هذا التَّمرد تجاوز الذات المنقادة والخاضعة لذاتٍ رافضةٍ جميع أشكال الانقياد والظلم والاستبداد، فجميع صور التَّمرد منذ بداية النصّ وحتَّى أواخره سعت إلى تحقيق الوعيّ الممكن (ثمن العجل الّذي أخذته مني بالمكر والخديعة يا لص..لقد سمَّمت لك اللحم لكي لا تهنأ بلحمه، ولكن عليك أن تدفع ثمنه.. وارتج صلاح أخذ يصيح وهو يتخبط بين ذراعين مفتولتين كـأنهما من الصلب الّذي لا يلين:

-ما هذا.. من أنت؟

وكاد قلبه يكف عن الخفقان حين جاءه الصوت الهادئ البارد بالرد الّذي كان يخشاه والّذي حدثته به نفسه منذ وجد نفسه طريحا فوق الأرض:

-أما عرفتني بعد، أنا هو العايق الجديد الّذي أرسلت رجالك في البحث عنه، أنا عليّ الزَّيبق يا صلاح وأنت الآن في يدي أصنع بك ما أشاء أيها الفاسق يازير النساء..[2] وبذلك تُصبح المساواة والتوازن حاضرة في النصِّ، فمواجهة الزَّيبق مع مقدَّم الدّرك صنعت بنية اجتماعيّة واسعة، الّذي استلبه مقدَّم الدَّرك استردّه علي بالسلاح نفسه،

(١) سيرة عليٍّ الزَّيبق: ص٣٣.

(٢) سيرة عليٍّ الزَّيبق: ص٩١.

فثمن العجل أُخذ على شكل دفعات وليس دفعة واحدة، لتجرع السُّلطة مرارة وقسوته الّذي سادته على الطبقة الاجتماعيَّة، وممَّا يلاحظ في النصِّ أنَّ أغلب الوعيّ الّذي يَتمثّل فيه هو وعيٌّ على مستوى البطل، بوصف المجموعة متمثّلة ببطلها الّذي أخذ على عاتقه مهمة الدفاع عنها واسترداد حقوقها، وقد أستطاع بشجاعته وقوة تدبيره وتفكيره أنْ يواجهها، فالوعيّ مرتبط به وكذلك يمثل الوعيّ المجتمعي الّذي يرافق المجتمع آنذاك، أنَّ التفكير الّذي يستخدمه الزَّيبق قد استخدمه بشكلٍ ساخرٍ لإيصال رسالته للسُّلطة ومهَّد الطريق لأحداثٍ مستقبلية ستقع له، من دون غيره نتيجة دفاعه عن الطبقة الاجتماعيَّة الّتي اختار الدفاع عنها فالصراع القائم بين عليّ الزَّيبق والسُّلطة أسهم في ولادة بنى اجتماعيَّة متحركة في النصِّ.

(سأعلن له الأمان وأعينه مكان أبيه حسن رأس الغول ليكون شريكا لك في المقام.. ولو طلب أنْ انحيك سأعزلك، أفاهم أنت؟

ازداد قلق صلاح الكلبي وهو يحس بجفاف حلقه والعرق البارد ينزاح من رقبته وقال: فاهم يا مولاي)[1]. وبذلك يتَّضح الوعيّ الممكن عبر إعلان الأمان للزَّيبق وترأسه للسُّلطة لإكمال مسيرة أبيه ونصرته للمظلومين والفقراء وايجاد الحلول لمشاكلها وتخفيف الصراع الطبقي في المجتمع، وبناءً على ما ورد، فكلُّ حيلة وتنكر وسرقة وانتقام من السُّلطة حققت الوعيّ الممكن لدى البطل، وهذه الأساليب المستخدمة في تحقيق الوعيّ الممكن هي أساليب ماثلت البنى الذهنية للفئة الاجتماعيَّة الّتي ينتمي البطل إليها، فقوة التدبير والتفكير لعليّ الزَّيبق أسهمت في تحقيق الوعيّ الممكن لديه، أمَّا الوعيّ سلبيّ الّذي واجهته المجموعة أعاد الزَّيبق صياغته بطريقةٍ ساخرةٍ وإرجاعه للسُّلطة ليُمثَّل جسراً رابطاً بين الوعيّ السلبيّ لمشاكل الطبقة، والوعيّ الممكن لها.

(١) المصدر نفسه: ص٣١٨-٣١٩.

الخاتمة

بعد بيان الإجراءات التكوينية في نص السيرة توصل البحث إلى ما يلي:

١) نظرت البنيويَّة التَّكوينيَّة إلى الكلّ الشامل من دون إهمال الجزء فالكلّ الشامل لا يأخذ دلالته إلّا ضمن جزئيات معينة، فالتزامن التاريخي والاجتماعي والثقافي حاضراً في دراسة النصّ، ولا يتم عزل البيئة عن الإبداع الأدبي، بوصفها الإسهام الأول في إنتاجه.

٢) نظر (لوسيان غولدمان) إلى مفهوم الوعيّ القائم أو الفعلي عبر تحقق التفكير البسيط للأفراد من دون مقومات أو حلول لهذه المشاكل، وعدم التأمل في كيفيَّة الخلاص منه، أمّا الوعيّ الممكن هو الوعيُّ الّذي يوصل صاحبه إلى نافذةِ الأمل والحلِّ والانتقال به إلى كفّة المستقبل الّذي يناسب تفكيره الثقافي وتفكير المجموعة، مِن أجل تحقيق مصالحه الجماعيّة

٣) أنَّ اختلاف الوعيّ في المجتمع الواحد، بيّن للقارئ مدى التباين الحاصل بين أفراد المجموعة الحاصلة، حتَّى يؤدي إلى تولّد وعيّ مختلف عن وعيّ الطبقة بعيداً عن المؤثرات الّتي عاشها هؤلاء الأفراد. فقد تباين التّماثل بين وعيّ ورؤية البطل في النصّ مع وعيّ ورؤية الطبقة الاجتماعيَّة، هذا التباين والاختلاف بيّن الوعيّ والرؤى ضمن المجتمع الواحد أدّى إلى فقدان التماسك والانسجام في النصّ والمجتمع على حدٍ سواء وتبعثر الجهود في مواجهة الوعيّ الفعلي.

٤) نظرت البُنيويَّة التَّكوينيَّة للنصّ الأدبيّ على وفق التّماثل الحاصل بين البنى الداخليَّة للنصّ مع البنى الذهنية للأفراد للخروج ب مستويات الوعيّ (الوعيّ القائم أو الفعليّ، والوعيّ ممكن) في سيرة عليٍّ الزَّيبق، فقد أفرز لنا النصّ الوعيّ فعليّاً مرافقاً لأفراد الطبقة والواقع المعاش. أمَّا من ناحية البطل فقد ماثلت البنية الذهنية فيه مفهوم الوعيّ الممكن وإنتاج رؤية عالم استشراقيّة

لتخلص من مأزق السُّلطة، وعليه فالتّماثل النصّي مع البنية الذهنية للأفراد كان حاضراً.

نـص الدراسة:

سيرة عليّ الزَّيبق: فاروق خورشيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الدراسات الشَّعبيَّة، دار الشروق، القاهرة، مصر ط١، ٢٠٠٢.

المصادر والمراجع

١) البنيويَّة التَّكوينيَّة من الأصول الفلسفيّة إلى الفصول المنهجية دراسة في نقد النقد: محمد الأمين بحري، كلمة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥.

٢) في البنيويّة التَّكوينيَّة: دراسة في منهج لوسيان غولدمان: جمال شحيد، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٣.

٣) العلوم الإنسانية في الفلسفة: لوسيان غولدمان، ترجمة: يوسف الأنطكي، محمد برادة، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، ط٢، ١٩٩٦.

٤) أدب السيرة الشعبية: فاروق خورشيد، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٤.

٥) البنيويَّة التَّكوينيَّة في النصّ المسرحي: عبد الجبار عيسى، دار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط١، ٢٠٢٠.

٦) البنيويَّة التَّكوينيَّة والأسلوبيَّة: قراءة في ضوء البلاغة الجديدة: عبد الرحمن حميدي المالكي، دار النابغة لنشر والتوزيع، طنطا، سبريالي، ط١، ٢٠٢٢.

٧) البنيويَّة التَّكوينيَّة والنَّقد الأدبيَّ: لوسيان غولدمان وآخرون، ترجمة: محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٦.

٨) تيار الوعي في الرواية الحديثة: روبرت همفري، ترجمة محمود الربيعي، الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٥.

٩) سيرة عليّ الزَّيبق المخطوطة المصريَّة النادرة سنة ١٨٨٠: تقديم ودراسة محمد سيد عبد التواب، القاهرة، مصر، ٢٠١٥.

١٠) سيرة عليّ الزَّيبق: فاروق خورشيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الدراسات الشَّعبيَّة، دار الشروق، القاهرة، مصر ط١، ٢٠٠٢.

١١) علم الاجتماع الأدبيّ: منهج سوسيولوجي في القراءة والنّقد: أنور عبد الحميد الموسى، دار النهضة العربية، د.ط، د.ت.
١٢) موسوعة السرد العربي: عبد الله إبراهيم، مج١، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط١، ٢٠١٦.

البحوث والدوريات:

١) التماسك الاجتماعي: ودلالاته البنائية الوظيفية: خالد بوشارب بولوداني، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، العدد ١٠، ٢٠١٨.
٢) مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التَّكوينيَّة: عادل اسعيدي عبد القادر بحتي، مجلة آفاق علمية، المجلد ١١، العدد ٤، ٢٠١٩.

المواقع الألكترونية:

١) https: //al-ain.com /article /91066: تاريخ النشر: ١٣/ ٣/ ٢٠١٦: تاريخ الزيارة: ٢١/ ٣/ ٢٠٢٣.